[32] ترجيح النجاشي على الشيخ الطوسي في الرجال والحديث فكان لقاء مثل هذا الشيخ بمكان من الاهمية للشيخ الطوسي ومع ذلك لم يخرج الطوسي إلى البصرة لزيارته والاخذ منه مباشرة. ويعلم من إجازة الشيخ المكتوبة عام 445 هـ على ظهر نسخة من كتابه " مقدمة في المدخل إلى علم الكلام " أنه كان في ذاك التاريخ في " حدود دار السلام " اي في ضواحي بغداد. والظاهر أن الشيخ قد ألف اكثر كتبه وأماليه في بغداد وانه الف قسما منها قبل وفاة أستاذه السيد المرتضى وقسما آخر بعده. ويمكننا أن نقف على مكانته العلمية ورياسته العامة حين ذاك من خلال هذه الكتب ومقدماتها ومن الاسئلة الواردة عليه من البلدان. وقد عبر نظام الدين محمود بن علي الخوارزمي كاتب النسخة المذكورة المكتوبة سنة 444 هـ، عبر عن الشيخ بقوله: " مقدمة الكلام تصنيف الشيخ الامام الورع قصوة العارفين وحجة الله على العالمين، لسان الحكماء والمتكلمين، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي متعنا الله بطول بقائه ونفعنا بعلومه ". (76) الشيخ الطوسي والنجاشي أبو العباس النجاشي المعاصر للشيخ الطوسي صاحب كتاب الرجال المعروف الذي ألفه قبل سنة 450 هـ التي توفي هو فيها، وبعد عام 436 هـ الذي توفي فيه السيد المرتضى (77) والظاهر أنه كتبه في بغداد. وقد وصف الشيخ الطوسي بقوله: " محمد بن الحسن بن على الطوسي أبو جعفر جليل من أصحابنا، ثقة عين، من تلامذة شيخنا أبي عبد الله.... " (78) ثم يفهرس جملة من كتب الشيخ الطوسي التي كان ألفها إلى يوم ذاك

_____

(76) - مقدمة التبيان للعلامة الطهراني ص 1 هـ. قد كان العلامة الطهراني رأى هذه النسخة في مكتبة الاستاذ السيد محمد مشكاة رحمه الله. وراجعت أنا الاستاذ مشكاة لرؤية هذه النسخة وزيارة إجازة الشيخ الطوسي بخطه لكاتب النسخة، فقال: كانت هذه النسخة أمانة عندي لبعض أصدقائى فاستردها، ولا أدري ما هو مصيرها. ثم بعد ذلك بسنين حينما كنت أجمع الوثائق عن الشيخ الطوسي للمؤتمر الالفي للطوسي، كتب إلى الفاضل فخر الدين نصيري، أن هذه النسخة محفوظة لديه. وعلى كل حال فهي من جملة عديد من النسخ التي تحمل خط الشيخ الطوسي. فلاحظ خاتمة كتاب الجمل والعقود المصحح والمترجم بجهدنا. (77) - قد جاء في رجال النجاشي ص 207 أن السيد توفي في 5 ربيع الاول عام 436 هـ وأنه تصدى لغسله، وهذا دليل على تأليفه كتاب الرجال بعد موت السيد وهناك شواهد أخرى على ذلك إلا أن النجاشي عبر عن السيد في أول كتابه بقوله: " السيد الشريف أطال الله بقاءه وأدام توفيقه " حيث ان الظاهر منه السيد المرتضى وأنه كان في قيد الحياة حينذاك. (78) - رجال النجاشي ص 287